كلاسيت

السينما المستقلة وانتصارها الجديد

متابعة جودت جالي

لقد برهن تأريخ السينما المستقلة على أنه منجم لأعمال التجاوز النوعي السينمائي والمزود للسينما المحترفة بأجيال من الممثلين والمخرجين والتقنيين الطليعيين الذين ساعدوا السينما التجارية على تحسين انتاجها باتجاه أقل اهتماما بالمردود المالي مع التبني المتزايد للقيمة الفكرية للعمل السينمائي. كانت البداية في فرنسا في مرحلة الموجة الجديدة مع مخرجين من أمثال تروفو وغودار، لكن لم يكن بمقدور هؤلاء أن يفعلوا شيئا دون مساعدة سخية اعتبرت وقتها من قبيل المغامرات الطائشة أقدم عليها مهتمون شباب بالسينما بعضهم فنانون عندهم امكانيات مالية كانوا يمولون أعمالا فنية لا يرجى نجاحها من وجهة النظر التجارية ولكنها تنطوي على قدر كبير من التحدي الفني والتجريب والتجديد وتنزع الى معالجة مواضيع لم تطرقها السينما سابقا ، هذا الاتجاه المغامر يعود الفضل في نجاحاته أولا الى المنتجين الشجعان الذين ارتضوا أن يضعوا أموالهم في خدمة أعمال لا لشيء سوى حب العمل الفني والتوق للجديد في الإنجاز دون ضمان مالي، ثم وفي مرحلة لاحقة ظهر مبدأ يسمى (التسليف على الإيراد) وهو عقد بين المنتج والمخرج يمول به الأول عمل الثاني ويكون سداد السلفة على أيراد الفيلم، فإذا لم يسدد الأيراد السلفة تسقط أو تحال الى عمل آخر حسب الاتفاق.

فيلم (التفادي) الذي نفذ بميزانية متواضعة (أقل من مليون يورو) صور بكاميرا فيديو ديجيتال ولم يشاهده أكثر من ٣٠٠٠٠ مشاهد تفوق على (يوم الخطوبة الطويل) الذي شاهده (٤,٤٤ مليون مشاهد) وحصل على خمس سيزارات، وفيلم (المرتلون) الذي شاهده (٨,٦٣ مليون مشاهد) وحصل على سيزارين. تم انتصار السينما المستقلة بجائزة أحسن فيلم (التفادي) وجائزة أحسن ممثلة (يولاند مورو في فيلم حين يرتفع البحر) ليولاند مورو وجيل بورت وكذلك جائزة أحسن ممثل لماتيو آمالريك عن أدائه دور إسماعيل في فيلم (ملك وملكة). هذه هي الأفلام (المستقلة) المنتجة خارج مؤسسات السينما الكبرى (باتي، غومون، أم كي ٢ ...) والتي بني تمويلها على التسليف بضمان الأيراد وأستقطبت الجوائز الأعلى في المهرجان . كما أن الأكاديمية كافأت من ناحية أخرى هذه الأفلام التي أنجزت على هامش المجتمع الفرنسي أذ أن (التفادي) يرسم برشاقة وحدة التعارض بين حياة شباب الضواحي ومسرح ماريفو، وفيلم (حين يرتفع البحر) يتحدث عن حب رجل عاطل لممثلة في ريف بشمال فرنسا.

وجائزة الفيلم القصير ذهبت الى (ليس سالم التي صورت أبناء عمومتها في الجزائر بفيلم (أولاد عم) مجسدة التواصل مابين ضفتي البحر المتوسط. أن فهم وجهة نظر الذين صوتوا في الأكاديمية لصالح السينما المستقلة يكمن في كلام جيل بورت المخرج المشارك مع يولاند مورو لفيلم (حين يرتفع البحر) والذي يرتكز على التحية المطولة في ذكرى منتج الفيلم هينبر بالسان الذي أنتحر يوم ١٠ شباط من هذا العام. أن اختفاء من سمته مورو (رجلي الكابوي) قد ألقى الضوء - القاء مناسبا أو غير مناسب - على هشاشة السينما الفرنسية المستقلة أمام مسألة انعدام الضمان المالي مثلما هو ألقاء للضوء على التحدي المجازف لهذه السينما وكأنما جاء حادث الانتحار جامعا لهذين المدلولين . أذن فقد برز العدد الأكبر من أعضاء الأكاديمية ليصوتوا معلنين عن دعمهم ليس فقط لفلمين خارجين عن المألوف بل ولسينما مستقلة مقاومة ومهددة بالفناء معا . جرى الحديث تلك الليلة (عدا كلمة أيزابيل أدجاني رئيسة المهرجان التي تضامنت فيها مع الرهائن وشجبت معاداة السامية) عن أمور بمنتهى الجدية أذ لم يكن بالإمكان تجنب الجدل الذي يقسم الوسط السينمائي الفرنسي. فيلم (يوم الخطوبة الطويل) للمخرج جان-بيير جونيه حصل على خمس سيزارات ثلاث منها (تقنية) هي (الملابس والديكور والتصوير) ولهذا وجهت مصممة الديكور آلين بونيتو ومصممة الأزياء مادلين فونتين التحية لشركة ٢٠٠٣ الإنتاجية (لشجاعتها في جعل تصوير الفيلم في فرنسا مما وفر العمل لمئات التقنيين) ومن المعروف أن هذه الشركة هي فرع من مؤسسة وارنر وبهذا فالشركة ليست فرنسية وبالتالي ففيلم (يوم الخطوبة الطويل) برأي البعض ليس فرنسيا، ولكن المصوتين لم يكن لهم وجهة النظر هذه. هنا تطرح مشكلة الاعتماد على التمويل الخارجي نفسها، فكما أن تمويل السينما المستقلة يطرح باستمرار مشكلة الأفلام الهابطة التي تعتمد (تعويضا عن الضعف التقني) الإثارة بمختلف أشكالها لتستعير لها (طليعية) مزيفة ثم لا يذكر التأريخ من العدد الإجمالي للمنتج خلال عقد ربما غير فيلمين أو ثلاثة تشكل نقلة نوعية حقا في الفن السينمائي، فأن التمويل الخارجي أيضا يظهر استقلالية خادعة عن ضغوط الوسط المالي السينمائي الفرنسي لأنه في الحقيقة يخضع الفيلم لشروط هوليودية في الإنتاج.

> لقد جعل فيلما (التفادي) و (حين يرتفع البحر) السينما المستقلة تتفوق على النجام التجاري الكبير لأفلام المؤسسات الكبرى هذا العام.. جائزة أحسن فيلم ، جائزة أحسن مخرج ، جائزة أحسن سيناريو ، جائزة لأحسن ممثلة واعدة (سارة فورستيه) ، هذه السيزارات الأربع التي حصل عليها (التفادي) وهو ثاني فيلم طويل يخرجه عبد اللطيف كشيش خرج للعرض في شهر كانون الثاني ٢٠٠٤ ، كانت مفاجأة لمحترفي السينما الفرنسية الذين أجتمعوا يوم ٢٦ شباط ٢٠٠٥ على مسرح الشاتيليه لمراسيم مهرجان السيزار الثلاثين.

المواطن ويلز

علاء المفرجي

قدم لغة سينمائية جديدة في التكنيك، ومكتملة في ثرائها بين أفضل عناصر السينما الصامتة والناطقة. انه اورسن ويلز المرتبط اسمه بواحد من أعظم إنجازات السينما على الإطلاق ذلك هو (المواطن كين)، الفلم الذي لم تخطئه اية قائمة لاستفتاء الأفضل في تاريخ السينما.

ومثلما ناصبته هوليوود القطيعة بسبب تمرده على سطوتها التي غالبا ما مارستها على عمالقة هذا الفلم فان المهرجانات السينمائية على كثرتها وتنوعها لم تلتفت الى تكريمه بالشكل الذي يليق باحد اهم المجددين في الفن السابع وهو ما يجعل تكريمه من قبل مهرجان لوكارنو الحالي حدثا مهما يكتسب فيه المهرجان اهمية مضافة.

إبداع اورسن ويلز يشير الى ان السينما الحديثة تدين له بأكثر مما تدين إلى اي مخرج اخر فهو المجدد لجميع الأساليب السينمائية والإضافات الجمالية التي أدخلت تحولا كبيرا على الطريقة التقليدية في التعبير.

ولعل عظمة ويلز تتجلى انه في خضم حاجته المتعاظمة للاستقلال التي أدت إلى استبعاده من صناعة السينما الكبرى في هوليود قد قدم أهم الروائع في المنجز السينمائي العالمي (آل امبرسون الرائعون) و (سيدة من شنغهاي) و(المحاكمة) وغيرها

وعلى الرغم من مرور أكثر من ستة عقود على أخراجه فان فلم المواطن كين مازال يحتل مكانة مهمة في التاريخ السينمائي لطريقته المتفردة في ذلك الوقت وثورية بنائه الروائي ابتداء من السيناريو الى تقطيع المشاهد الى اسلوب التصوير فكان في هذا الفلم اول من ابدع في استخدام أسلوب (الفلاش باك) الذي وان اقتفى خطاه الكثير من المخرجين فيما بعد الا ان امتيازه الأهم كان في إنجاز أحداث الفلم كلها بهذا الأسلوب المبتكر في حينه.. ولم يكن ذلك الملمح الوحيد من حيث الاضافة الجمالية في هذا الفلم - والذي منحة الخلود المرتجى - بل الفن في الاستخدام الدرامي المتطور للصوت،وحتى طريقة الحديث التي استخدمها للمرة الأولى في السينما عندما جعل الممثلين يتحدثون في وقت واحد لإبراز اكثر من دلالة.. وتبقى الإضافة الاهم لويلز في هذا الفلم هو براعته باستخدام اسلوب عمق المجال والذي تجلت فيه اشهر مشاهد عمق المجال في تاريخ السينما على الإطلاق. فضلا عن استخدامه أسلوب اللقطة المشهدية الذي لم يكن الفلم سوى مجموعة منها.

ولم يكن المواطن كين على أهميته الأثر الرائع الوحيد في المسيرة الابداعية لهذا المخرج الذي يجمع الكثير من النقاد على انه افضل من تعاطى مع اعمال شكسبير على كثرة معالجتها للسينما وهو ما جعل الكثير من مخرجي السينما ينهلون من فيض ابتكاراته وليس اقلهم عظمة هتشكوك والتمان وسكورسيزي وآخرون.

ومثلما ارعب امريكا كلها وجعل الناس تخرج من بيوتها مفزوعة من هجوم سكان المريخ وهو يقدم برنامجه الإذاعي، فأنه قلب الكثير من التصورات والمفاهيم عن العمل السينمائي وهو يقدم روائعه لهذا الفن الذي احتفظ له بمكانة لا يزاحمه فيها احد.

الفلم الوثائقي: (انهار وامواج)

وتشكيلات الفنان النحتية في الطبيعة

ترجمة / عادل العامل

يقوم الفنان اندي غولدزورثي بصنع تشكيلات مزخرفة بالاحاسيس منحوتة كلياً من اشياء يجدها في الطبيعة - أحجار، اغصان، اوراق شجر، سيقان نباتات، طين، جليد، ثلج. وهذا ما يحدثنا عنه فلم توماس ريديلشيمر الوثائقي التأملي في تسعين دقيقة، الذي يرينا غولدزورثي وهو يكون ابداعات جديدة ويشرح لنا فلسفته التي تقدم معاً تقويماً تأملي الصيغة للعالم الطبيعي، وصلةً محسوسة بعمق مع كوكب الارض وآلاف اشيائها، وافتتانا بالزمن والوجود السريع الزوال للموجودات، واحتراماً للمكان وكل الاعاجيب المكتشفة ضمن الفضاء الذي يعرفه الواحد منا بصورة حميمة، وتوقاً لأستكشافات الطاقة التي تسري في المنظر الطبيعي. وتتغير اشغاله في بعض الاحيان امام عينيك بل وتتلاشى قبل ان نكون قد استمتعنا بكل غموضها وسحرها. لكن هذا كله، بالنسبة للفنان، جزء لا يتجزأ من العملية.

"إن الفن شكل من اشكال التغذية"، يقول غولدزورثي، ونحن نرى ما يعني وهو يبدأ بتركيب ترتيباته الارضية التكوين. وليس لديه، وقد وصل لتوه في بعثة جديدة إلى نوفا سكوتيا، إلا القليل من الوقت لمؤالفة نفسه مع المنطقة الساحلية. وهو، مع هذا، يؤسس لصداقة حميمة مع العالم الطبيعي: "وقد صافحت المكان"، كما يعلن بينما يبدأ الاشتغال بمنحوتة كتلة جليدية مدلاة تناسب تماماً البيئة المقرورة المتوحدة.

ويحترم غولدزورثي عمليات الحياة والموت المنعكسة في الطبيعة، قائلاً:، والشمس تضيء المنحوتة المنجزة: "إن الشيء ذاته الذي أتى بها للحياة، سيتسبب في موتها." وما هذا إلا واحد من التبصرات الروحية الكثيرة المنبثقة من فنه.

وهو يقوم بتكوين كوخ على شكل قبة من خشب طافٍ جمعه من الشاطئ. وعندما يصل المد تبدأ المنحوتة الخشبية تطفو ثم تنساق إلى البحر في دوامة بطيئة. غير ان غولدزورثي لا يتشبث بعمله الفني: "فهو يعطيني احساساً بانه قد اقلع في طائرة اخرى، عالم آخر... لا يبدو لي ذلك وكأنه هلاك" كما يقول.

والفنان ايضاً لا يفكر بلغة النجاح او الفشل. فبعد ان يكون قد قضى ساعات كثيرة في تكوين هيكل متحرك معقد من الاماليد والاشواك، تتبدل الريح وينهار التشكيل. فيتفحص غولدزورثي الحطام ويمارس رباطة الجأش. ويبدو انه يعرف ان السحر يفعل فعله احياناً وانه لا يفعل شيئاً في احيان اخرى. فالمهم ان العملية الابداعية نفسها قد تجلت سوية مع التقاء حميم بـ "قلب المكان". ولا شيء يضيع ابداً في العالم. وهناك دائماً شيء ما يمكن الاعتناء به في هذا الفن البيئي.

وعند عودته إلى بيته في بينبوت، بأسكتلندة، يستمتع غولدزورثي بصحبة زوجته واطفاله الصغار، ثم يذهب مشياً على الاقدام عبر القرية ليجمع مادة لمشروع جديد. ويلتقط في طريقه الهندباء البرية ليضعها في تجويف صخري عند حافة النهر، حيث تبدو، من فوق، شعلةً من الجمال الاصفر وسط الصخور.

-ان (انهار وامواج: غولدزورثي يعمل مع الزمن) هو الفلم الوثائقي الاكثر صقلاً من الناحية الروحية الذي سيراه المشاهد هذا العام. وقد فاز بجائزة البوابة الذهبية لأفضل فلم وثائقي في مهرجان سان فرانسسكو للفلم العالمي عام ٢٠٠٣, ويتضمن الـ DVD قسماً لعرض الصور وبذلك يمكنك مشاهدة التشكيلات النحتية التي اجتذبت انتباهك، مرة اخرى، وتصويراً سينمائياً للمخرج الالماني، والمصور السينمائي ورئيس التحرير توماس ريديلشيمر وسيرة شخصية موجزة للفنان ايدي غولدزورثي تتضمن كتبه. وسيفتن هذا الفلم الوثائقي الاستثنائي المشاهد بطرق متعددة، وذلك بصوره المجفلة، وموسيقاه الغريبة العائدة لفريد فريث، وقدرته على تحفيز الفنان الذي بداخلك.

جدية النقد السينمائي

أ-د. عقيل مهدي يوسف

يفضل الناقد السينمائي الجاد، اختيار عينات من الافلام المهمة بطريقة قصدية، يجدها صالحة من حيث اتساقها مع المعايير العلمية والفنية، التي تكفل له الخروج بنتائج مثمرة في نقده. لاسيما حين تكون هذه الافلام قد حازت على رضا جمالي وفني لدى خبراء السينما، او جمهورها المتوفر على ذوق مرموق او ما هو مثبت في الادبيات والبحوث السينمائية الرصينة، لأن هذا التكرار الكمي في استحسان هذه الافلام، وتلك الموضوعية البعيدة عن الاهواء، وذلك الثبات في القيم الفنية والجمالية لهذه الافلام، يؤكد بشكل راسخ على صلاحيتها للمشاهدة وكذلك يفتح الافاق لدراستها، وتمحيص تقنياتها الرفيقة.

وقد تكون هذه الافلام عالمية، واسطورية مثل فلم (القلب الشجاع) على سبيل المثال، او عربية مثل فلم (جبال الاوراس) الجزائري، او مثل فلم (المسألة الكبرى) لمحمد شكري جميل، او فلم (المصير) ليوسف شاهين! كل هذه الافلام، يمكن ان تكون قابلة للدراسة، من خلال اداة البحث فيها عن طريق "المشاهدة" المتأملة، الدقيقة، بطريقة علمية، من الوصف والتحليل، والالتزام بخطوات جادة، تعالج ملخص الفيلم، وانواع اللقطات، لاسيما المبدعة فيها، والتكوين، والشكل سواء كان اسطورياً ام تاريخياً ام اجتماعياً معاصراً، وكذلك التعرف على الجو العام للفيلم وعلى طبيعة حركة الشخصيات، والايقاع، والمونتاج، ووجهة النظر، وعمق المجال، والفكرة والاضاءة، والموسيقى، والازياء.

كل هذه الجوانب الدراسية للفيلم، ستقود الناقد إلى الخروج بنتائج تسفر عنها هذه الدراسة، من خلال مؤثرات خاصة في معرفة كيفية صياغة اللقطة السينمائية التي اجاد المخرج التعامل معها، بحرفيته السينمائية العالية، وبما توفر عليه من امكانية ابداعية، وذهنية خلاقة، اذ عن طريق هذا الاقتدار الحرفي والابداعي معاً استطاع ان يظفر بهذا التأثير الجمالي الواضح على متلقيه، بحيث دفعهم إلى متابعة فلمه هذا بما حققه فيه من ابداع فني وجمالي، سواء في انواع اللقطات التي انجزها او طبيعة مضامينها، او في تركيبه للقطات من خلال التوليف او المونتاج، او في ممارسته التطبيقية للسيناريو التنفيذي. ان المخرج الجيد لا شك في ذلك، لا يتعامل مع فلمه بعشوائية، او بانعدام الخبرة الفنية، او بذوق متخلف، بل على العكس من ذلك، بقدرة فائقة على تنظيم مجالات انسقته الفنية، لكي يقوم بالتالي بالتحكم ايجابياً باتجاهات الذوق لدى المتفرجين، الامر الذي يقود بالفلم، لان يسهم، ويروج للصناعة الوطنية في هذا الميدان الانتاجي المهم.

ان اختيار الموضوعات والافكار والقصص السينمائية المناسبة لاهتمام الجمهور، والملبية لرغباته وميوله الوطنية والانسانية، يحقق تحفيزاً مهماً لرواج السينما بين الجمهور.

فالفنان الخلاق في الاخراج السينمائي، يدرك مثلاً - اهمية استخدام عنصر "التكوين" بطريقة مناسبة في فلمه، وعلاقة هذا التكوين السينمائي بالشكل والتصميم والمعمار والجو العام والحركة والايقاع والشخصية - الخ فكل هذه تؤثر بالجمهور، وتثير فيه مشاعر الجمال والحماس. لان الجمهور يحب غالباً ان يرى بطولاته وبطولات الشعوب الاخرى، وما يقدمه من تضحيات جسام، وسط اجواء عامة من زمن الكفاح ضد الاحتلال، فهذه الافكار النضالية تبين حركات الطرفين المتقابلين في الصراع، سواء اكان ذلك الشكل التاريخي اجنبياً ام اسلامياً (الاندلس) في فلم المصير، ومحاولة اسقاط ذلك على واقعنا العربي الاسلامي، المعاصر، من خلال جو قرطبة في القرون الوسطى ومحنة ابن رشد لابراز محنة الحروب، واضطهاد الافكار الحرة، بهذه المضامين المؤثرة، او بما تمتلكه الحركة من جاذبية خاصة، سواء حركة خاصة بالبطل ابن رشد او اتباعه ومجاميع اخرى من الاتباع والاعداء وعلاقة الايقاع الصوري بالمونتاج، ووجهة نظر الفيلسوف ابن رشد نفسه، وما يتداعى في وجدان المتفرج اليوم فيما يخص فكرة الحرية تلك والتصدي للخرافة، وجمالية الزي الغجري والاندلسي العربي - الاسلامي، وايحائية الاغنية والموسيقى وسواها كلها تسهم في حبك نسيج الفلم فنياً.

ان الناقد الجاد يخرج باستنتاجات تخص تطوير مهارة المخرج السينمائي العربي، والارتقاء بعناصره الفيلمية، وتجاوز نقاط الوهن التي تحول دون تطوير سينما عربية متقدمة، بغرض الترويج نقدياً لهذه الصناعة الوطنية، والفن الجماهيري العريض، وترسيخ قيم الوطنية والانسانية.

قد يقترح الناقد مقترحات تخص قيام مؤسسات الوطنية بدراسة اسباب نجاح الافلام في السينما العالمية، للافادة من خبرتها ودروسها، حتى نستطيع - بمهارة - تطوير تجربتنا السينمائية الوطنية وفق القيم الفنية والجمالية رفيعة المستوى، وعلى مستوى اكاديمي جاد.